گۆڤارا زانستێن مرۆڤایەتی یا زانکۆیا زاخۆ
مجلة العلوم الانسانية لجامعة زاخو
Humanities Journal of University of Zakho (HJUOZ)
Vol. 9, No. 1, pp. 57–70, March.-2021.
hjuoz.uoz.edu.krd
p-ISSN: 2664-4673
e-ISSN: 2664-4681
journals.uoz.edu.krd

التجارة في زمن الحروب الصليبية خلال العصر الايوبي

ادريس محمد حسن احمد
قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة زاخو، إقليم كردستان ـ العراق.

تاريخ الاستلام: 2020/10 **تاريخ القبول:** 2021/01 **تاريخ النشر:** 2021/03 https://doi.org/10.26436/hjuoz.2021.9.1.664

الملخص:

تعد فترة الحروب الصليبية مرحلة إتصال بين المسلمين والمسيحيين في أوقات الحرب والسلم، لان الطبيعة البشرية فرضت عليهم أن يتقاتلوا أحياناً، وأن يتهادنوا أحياناً أخرى، ففي أوقات السلم كان يتم الإتصال الحضاري ولاسيما التجارة بينهم على نطاق واسع. ويلاحظ مدى تطور الحضارة الاسلامية على الاهتمام الفائق بالخدمات التي تساعد على التبادل التجاري من منشأت وخانات وتخصيص فئات من الناس للخدمات التجارية والإعفاءات الجمركية، فضلاً عن الاعمال المصرفية وسك العملات المختلفة. وكانت أهم العوامل التي حتمت على الطرفين الاسلامي والمسيحي في بلاد الشام ومصر على درجة كبيرة من الاهمية لحياة كل من الجانبين، على الرغم من المواجهة العسكرية التي كانت قائمة بينهما، وهي عوامل بلا ادنى شك ساعدت كثيراً في بعض الاحيان على حدة التوتر أو على الاقل جعلت أهل الحرب ينشغلون بحربهم وأهل التجارة ينشغلون بتجارتهم. وقد تطرقت في هذا البحث الى التجارة في عهد الحروب الصليبية، فقد أشرت الى وسائل الإتصال ما بين الجانبين، إضافة الى السلع التجارية المتبادلة، كذلك ذكرت الطرق التجارية التي يتم من خلالها إيصال المواد ما بين الجانبين.

الكلمات الدالة: التجارة، إتصال، مراكز تجارية،حروب صليبية، إسلامية.

1. المقدمة

من الثابت أن الحركة الصليبية مهما تعددت أغراضها وتباينت دوافعها، كانت قبل كل شيء مجالا واسعا التقى فيه الشرق الاسلامي والغرب المسيحي، وان هذا اللقاء لم يكن حربيا فحسب ، بل كان حضاريا أيضاعلى اوسع نطاق، وتأتي أهمية العامل الاقتصادي (التجاري) في الحركة الصليبية بالدرجة الأساس، فلم يكن الغزو الصليبي لبلاد الشام بوجه خاص ومن ثم محاولة السيطرة فيما بعد على البلاد الاسلامية الاخرى وبذات السيطرة على تجارة البحر المتوسط، نابعا من الحماسة الدينية والتي كانت تستهدف انتزاع الاراضي المقدسة من أيدي المسلمين، وإنما كان هدفهم الرئيس الجري وراء تحقيق مكاسب تجارية في البلاد الاسلامية.

نستطيع القول رغم ان الهدف المعلن للصليبيين هو إعادة الاراضي المقدسة الى سلطتهم، إلا ان العامل الاقتصادي كان دافعا كبيراً لهم في ذلك.

وأن الهدف من دراسة هذا الموضوع الموسوم (التجارة في زمن الحروب الصليبية خلال العصر الايوبي) هو معرفة طبيعة العلاقات التجارية بين الطرفين الاسلامي والصليبي، وكان لها دور كبير في هذا المجال إذ كان يتم التبادل التجاري على نطاق واسع، وخير مثال على قولنا ما ذكره الرحالة المغربي المعاصر للاحداث ابن جبير وهو شاهد عيان على ذلك العصر ((ومن غريب ما يتحدث به نيران الفتنة تشتعل بين فئتين مسلمين ونصارى يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ، ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون أعتراض عليهم ...)) ، والاختلاف الذي ذكره ابن جبير هو الذهاب والاياب والاتصال فيما بينهم للتجارة .

وان الحضارة الاسلامية لما لها من رقي وريادة وتطور في بناء العلاقات فقد ابدى الاهتمام الفائق بالخدمات التي تساعد على التبادل التجاري والمنشآت التي أقيمت لذلك من الفنادق والخانات وتخصيص فئات من الناس للخدمات التجارية والاعفاءات الجمركية ، فضلا عن الاعمال المصرفية التي كانت للمسلمين يد السبق فيها، مما كان له انعكاساته الحضارية على الغرب الاوربي.

وقد تم تقسيم البحث الى مبحثين، تناول المبحث الاول تأثير الحروب الصليبية على بلاد الشام ،وايضا النشاط التجاري للمدن الايطالية وعلى وجه الخصوص البندقية وجنوة وبيزه، وكذلك أهم الطرق التجارية الداخلية والخارجية، أما المبحث الثاني فقد تتطرق إلى أهم المراكز التجارية،وكذلك إلى أهم المؤسسات لخدمة التبادل التجاري التي كانت محور النشاط التجاري، والنظم والمعاملات التجارية.

أما أهم المصادروالمراجع الاساسية التي اعتمدنا عليها التي تحدثت عن الموضوع منها ابن جبير(ت 614هـ/1211م)في كتابه رحلة ابن جبير

والذي قدم لنا معلومات في غاية الاهمية عن النشاط التجاري بين المسلمين والصليبيين،وكتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة لابن شداد (ت684هـ/1285م)، وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير(ت630هـ/1238م)،وكتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي(ت 555هـ/1160م)، وكتاب النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي(ت784هـ/1369م)،أما أهم المراجع فكتاب تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب لسعيد عبد الفتاح عاشور، والعلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية والموسوعة الشاملة لسهيل زكار، وغيرها من المصادر والمراجع الذي سيتم ذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

ومن أهم الصعوبات التي واجهت الباحث هو ان دراسة النشاط التجاري في زمن الحروب الصليبية يعدّ من فروع الدراسات التاريخية الصعبة " وذلك لأن المصادر وإن كانت قد أشارت الى مثل تلك الجوانب التجارية الا أنها كانت إشارات عابرة، ومتكررة في أغلب الاحيان، وذلك لاهتمام المصادر بالاحداث السياسية والحروب، فضلا عن ان الدراسات الحديثة التي تناولت جوانب النشاط التجاري بين الشرق والغرب اشار القليل منهم إشارات سريعة الى هذا الجانب يضاف الى ذلك إنها تعبر عن وجهة نظر الاوربيين في اغلب الاحيان، بل انها ركزت بشكل خاص حول العلاقات بين المسلمين بوجه عام والمدن التجارية الايطالية بوجه خاص.

2. المبحث الاول

1.2. دور الحركة الصليبية في تجارة الشام:

لم يكن للامارة الصليبية في بيت المقدس عند قيامها سوى منفذ واحد على البحر، هو ميناء يافا،لذا فقد صار لزاما على حاكم بيت المقدس جودفري بوايون أن يقوي الصلة بين بيت المقدس والعالم الخارجي وخاصة الغرب الاوربي عن طريق البحر، وأخذ يفكر في الاستيلاء على أرسوف شمالي يافا،وساعده في مهمته هذا أسطول بيزا مما اجبر الاهالي بدفع جزية سنوية لجودفري،وقام الصليبيون بتحصين يافا،حتى أضحت مركزا لنشاط تجاري،فقصدتها السفن التجارية لاحضارالحجاج من ناحية، وامداد بيت المقدس بما احتاجت اليه من امدادات من ناحية ([1])،وأتخذ الصليبيون من يافا مركزا لشن غارات مستمرة على ممتلكات الفاطميين الساحلية ،ونظرا لعجز الدولة الفاطمية عن حماية ممتلكاتها، فقد دب اليأس في قلوب أهل المدن الاسلامية ، الامر الذي أدى بحكام عسقلان وقيسارية وعكا باعلان تبعيتهم لدولة الفرنجة، وأسرع الكثير من مشايخ العرب في الجهات الداخلية الى عقد اتفاقيات ودية مع حاكم بيت المقدس ليضمنوا سلامة قوافلهم التجارية ([2])،وطلبو من جودفري أن يسمحوا لهم بمرور قوافلهم عبر أراضيه، مقابل ضريبة جمركية، فسمح لهم، بيد أنه في نفس الوقت بذل قصارى جهده كي يحول أكبر قدر من التجارة الى مينا يافا ([3])،وفي الوقت ذاته حرض الصليبيون القوى الايطالية (اصحاب التفوق البحري في البحر المتوسط)على ان يقطعوا الطريق التجاري بين الموانىء الفلسطينية ومصر، وترتب على ذلك إضعاف تلك الموانىء ثم سقوطها في النهاية في ايدي الصليبيين، وهكذا تركز النشاط التجاري في فلسطين في ايدي الصليبيين ([4])،وحتى يتمكن بلدوين الاول حاكم بيت المقدس من توطيد نفوذه على الساحل الفلسطيني، قام بفرض الحصار على عكا والتي تعد من الموانىء الساحلية الهامة وذلك في سنة (497هـ/1103م) ([5]).

وشهدت سنة (498هـ/1104م) سقوط عكا بعد ان ضاق الحصار البري والبحري عليها، وساهمت الاساطيل الجنوية في الاستيلاء عليها، وللمرة الاولى توفرت أسباب الامن للقادمين الى الشام من ناحية البحر، وتوقفت هجمات المسلمين ([6])،وفي عام (514هـ/1120م) خطا بلدوين الثاني حاكم بيت المقدس خطوة متقدمة بالنسبة لتجارة مملكة بيت المقدس متحذيا حذو بلدوين الاول في السياسة الاقتصادية، فقد صدر بلدوين في ذلك العام قانونا منح فيه جميع اللاتين سوى المقيمين أو الحجاج أو المتنقلين اعفاءات تجارية ضخمة، منها الاعفاء التام من الرسوم الجمركية لكل بضاعة ترد الى المملكة أو تصدرمنها،وفي نفس الوقت أجاز بلدوين الثاني للمسيحيين الشرقيين السريان والروم والارمن، بالاضافة الى العرب المسلمين، أجاز لهم حرية الدخول الى بيت المقدس لتصريف محاصيلهم دون دفع أية رسوم ([7])،ويبدو ان الغاء الرسوم الجمركية والمحلية التي قيدت النشاط التجاري وأعاقته ، أدى الى المساهمة في الازدهار الاقتصادي لمملكة بيت المقدس، وحافظ على الدور الهام في النشاط التجاري.

العامل الاساسي الذي ساعد الصليبيين على تنفيذ مخططاتهم في الشام هو الانقسام السائد في تلك الفترة بين المسلمين وعدم قدرة السلاجقة على التصدي لهم.

وبهذه الوسيلة أشتدت قبضة الصليبيين على طريق القوافل التجارية ، وخاصة بعد أن أصبح أرناط أميرا لحصن الكرك،فقد دأب على مهاجمة القوافل المتجهة من دمشق الى القاهرة، وطريق الحجاج الى مكة المكرمة، وبذل السلطان صلاح الدين الايوبي محاولات عدة من اجل الاستيلاء على حصني الشوبك والكرك، منها محاولة في سنة(568هـ/1173م) التي فرض فيها الحصار على الكرك، ولكنه سرعان ما رفع الحصار وقفل راجعا الى مصر ([8]).

وعلى الرغم من المعاهدات التي أبرمت بين صلاح الدين الايوبي والصليبيين، للسماح بمرور القوافل التجارية الآتية من مصر الى الشام، الا ان أرناط نقض الاتفاق بقطع الطريق على القوافل التجارية، ففي سنة (582هـ/1186م) أنتهز فرصة مرور قافلة تجارية ضخمة متهجة من مصر الى الشام فاستولى عليها ونهبها وقتل وأسر من بها([9]).

وأن ما قام به أرناط لايوخذ حكما عاما على جميع الصليبيين في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. فالواقع أن المدن ببلاد الشام

قد أزدهرت وتمتعت بنشاط كبير في المجال الاقتصادي وبالاخص التجاري, ويشهد على ذلك الرحالة المغربي ابن جبير الذي قال((من اعجب ما يحدث به الدنيا أن قوافل المسلمين تخرج الى بلاد الافرنج وسبيهم يدخل بلاد المسلمين... ومن أعجب ما يحدث أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى(فرنجة) ويلتقي الجمعان، ويقع المصاف بينهم، ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون أعتراض عليهم. واختلاف القوافل من مصر الى دمشق على بلاد الافرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين من دمشق الى عكا كذلك. وتجار النصارى أيضا لايمنع احد منهم ولا يعترض. وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم. وتجار النصارى أيضا يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم، والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الاحوال. وأهل الحرب مشتغلون بحروبهم . والناس في عافية، والدنيا لمن غلب)) ([10]).

ويفهم من خلال هذا النص بأن القوافل التجارية الاسلامية التي تمر بالمناطق الصليبية تدفع رسوما معلومة للسلطات الصليبية، كما كان التجار الصليبيون يدفعون الضرائب على متاجرهم في المناطق الاسلامية. ويبين كذلك الحرية التجارية رغم الاختلاف في السياسة. وذلك لان كلا الطرفين ادركوا اهمية العامل الاقتصادي في دعم حكمهم، حيث كان ذلك في صالحهم من خلال ضمان واردات الى خزينة السلطة.

2.2. النشاط التجاري للمدن الايطالية من خلال الحروب الصليبية:

وما ان بدأت الحملات الصليبية على الشرق الاسلامي، حتى انشغلت بها المدن الايطالية، وشكلوا الجناح التجاري الاقتصادي، مقابل الجناح الاستعماري الاستيطاني ([11])،حتى قيل إن الاستعمار والتجارة أمران مرتبطان بتاريخ الحروب الصليبية ([12])، فمنذ الحملة الاولى حتى حملة لويس التاسع على دمياط قلما كان يوجد نشاط صليبي، بدون مشاركة إيطالية فعالة ([13]).

ففي بداية الامر كانت تصرفات الايطاليين بشكل عام تتصف بالتردد وربما كان ذلك لانهم كانوا يدرسون موقفهم التجاري، وفي أي طرف هو أكثر ربحا؟ وما هي الظروف الجديدة الناشئة عن الحرب؟ وأين ستكون مصلحتهم الحقيقية؟ فأول الامر كان منهم من هو ضد الحرب ، لانها تؤدي الى كساد التجارة وخاصة مع المسلمين الذين يتحكمون في كل الطرق التي تؤدي الى الشرق، فلم يكن الايطاليون على استعداد للتضحية بمصالحهم، والقضاء على مصادر ثرواتهم من اجل الاهداف البابوية وشعاراتهم الدينية، فقامت كل مدينة إيطالية بطرقها الخاصة بإجراء اتصالات سرية مع المسلمين لإعلان تنصلهم من العدوان، وإبداء الرغبة في التفاهم ([14])،وهذا ما أعاق انخراط المدن الايطالية في الحرب منذ بداياتها، فلم يظهر أثرهم المحسوس فيها الا بعد انتهاء الحملة الاولى، وقيام مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية الاخرى في الشام، فقد أحسوا عندها إمكانية الفائدة التجارية من الوضع الجديد، وخاصة انهم قد مهدوا للتعاون مع الفرنج، فالسفن الإيطالية التي كانت قرب الساحل الشامي قدمت المؤن والذخائر ودعمت بفعالية الحملة في حصارها لأنطاكية، كذلك فعلت نفس الشيء في حصار القدس، وربما بدون هذا الدعم البحري لما تمت هذه الانتصارات السهلة للصليبيين ([15])،وكذلك قامت أساطيل المدن الإيطالية ومن ضمنها جنوة والبندقية وبيزا وأمالفي بدعم مدينة صور عندما حاصرها السلطان صلاح الدين سنة (583هـ/1187م) ([16]).ولكن الثمن الذي طلبته المدن الإيطالية مقابل خدماتها للصليبيين كان باهضا، فقد حصلوا على امتيازات تجارية كبيرة بلغت حد قيام أحياء كاملة لكل جالية منهم في المدن الذي استولى عليها الصليبيون، وكانوا يديرونها كأنها ملك لهم(([17]).

وبحكم الضرورة أخذ الصليبيين أحياناً بنظر الاعتبارالتعامل مع الايطاليين فقد كانوا بحاجة ماسة لأساطيلهم للنقل والدعم البحري، لانهم كانوا يعرفون أن الإيطاليين تجار بالدرجة الاولى، فشعار البنادقة كان لنكن بنادقة، ثم بعد ذلك مسيحيين ([18]).

ولاشك ان التطور التاريخي للاحياء الإيطالية في المدن الصليبية قد مر بمراحل متعددة خلال فترة الوجود الصليبي، فلم تنشأ المستوطنات الإيطالية بعد الغزو مباشرة، إذ لم يستقر هناك سوى عدد قليل من التجار في أوطانهم في جنوى وبيزا والبندقية، ولكن نواة النشاط الإداري من الموظفين الذين تم إرسالهم من المدن الايطالية لحماية حقوقها وامتيازاتها، أصبحت شكلا ثابتا منذ ذلك الحين، حيث كانت بمثابة موضع قدم ([19]).

ومن المعروف أن الموانىء الصليبية في بلاد الشام كانت بمثابة محطات توقف لرحلات التجار الإيطاليين العديدة، وتطلبت الضرورة التجارية إطالة مدة توقف السفن الإيطالية في هذه الموانىء لشحنها بالبضائع وتزويدها بالمؤن، فقد كان الجنويون يشحنون سفنهم لتبحر البحر من أوربا الى الموانىء الصليبية في بلاد الشام، وبمرور الوقت كون الايطاليون مناطق نفوذ تجارية في المشرق الإسلامي، وشيئا فشيئا أزداد تدفق أعداد كبيرة من التجار الإيطاليين الى المدن الصليبية وأخذت إقامتهم شكل الإقامة الدائمة، وخاصة بعد أن أزدهرت الأعمال التجارية في الربع السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد ، ولاسيما بعد أن أعطى الصليبيون للبنادقة امتيازابامتلاك ثلث مدينة صور بعد سقوطها سنة (509هـ/1124م)، وكان هؤلاء المستوطنون عبارة عن قادة البحر وتجار وبحارة، حيث ساعدت الظروف على انتعاش التجارة الإيطالية ([20]).

لقد أصبحت مدينة عكا أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد وطوال القرن السابع الهجري / الثالث عشر من الميلاد، المركزالتجاري الرئيسي للإيطاليين، واتسعت هذه المراكز بفضل الامتيازات السخية التي منحها الصليبيون للإيطاليين إبان فترة الضعف الصليبي، وازدياد النفوذ السياسي والاقتصادي لهذه الجاليات ولا

سيما البنادقة والجنوية والبيازنة وتزايدت فرص تأسيس المراكز التجارية في المراكز الإيطالية في عكا وصور وانطاكية ([21]).

وقد شهدت المراكز التجارية الايطالية في المدن الصليبية تطورا في مجالات عديدة في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، فقد بدأت تتوافد على الحي البندقي في عكا أفواج كبيرة من التجار للإقامة بالشرق، كما كان لحالات التزاوج التي تمت بين البنادقة المستقرين ببلاد الشام وبين الفئات الصليبية الاخرى أثر كبير في ازدياد نسبة الهبات والمنح ، بل ان الحي البندقي قد حصل على أراض ومنازل تابعة للأراضي المحظورة داخل المملكة الصليبية ([22]).

على الرغم من ان الإيطاليين قد ساعدوا الصليبيين في محاربتهم للمسلمين، وحصولهم على الامتيازات التجارية في الاراضي الصليبية، فان اهتمامهم الرئيسي بالتجارة ظل مستمرا في مصر، فهم لم يعقدوا بالشام صفقات توازي ما عقدوه في الاسكندرية، والواقع ان تجارة الإيطاليين مع الاسكندرية في ذلك الوقت ، ضمنت لهم التجارة المربحة للبحر الاحمر، ولذا فإن النشاط التجاري للمدن الإيطالية، سواء بالاشتراك مع الصليبيين أو مع غيرهم، جعل لهم السيادة على البحر المتوسط ([23]).

ومع كل الآثار الضارة للعلاقات التجارية بين الإيطاليين والمسلمين على الوجود الصليبي، فإن ما يفوقها ضررا عليه هي الخلافات التجارية والسياسية التي أدت الى صراع عسكري مكشوف بين الإيطاليين في الشام، وكان له أسوأ الأثر على وجود الإمارات الصليبية في الشرق، وسيكون له دور كبير في فنائها، وان جشع الإيطاليين وخلافاتهم ومنازعاتهم على المكاسب، قد تسببت بتدمير القواعد البحرية اللازمة لنجاح المشروع الصليبي في الشرق، وانهم فعلوا اسوأ من ذلك ، حيث عقدوا المعاهدات التجارية المتبادلة النفع مع البلدان الاسلامية أوثق وآمن من الامتيازات التي حصلوا عليها في الاراضي المحتلة، واخذوا ينظرون الى الصليبيين بأنهم لا يقومون إلا بعرقلة كسبهم للأرباح بصورة منظمة ومستمرة من التجارة المشرقية ([24]).

وبالمقابل فقد أدركت الممالك الأيوبية حاجتها لكسب التجار الإيطاليين، فلوحت لهم بالمكاسب، وعقدت معهم الاتفاقيات على أساس الفائدة المشتركة ،فنقلوا البضائع من والى الموانىء الاسلامية وخاصة موانىء مصر، فمنذ أوائل عهد الدولة الايوبية نشط التجار الإيطاليون فيها ولاسيما في مصر بعد تأمينها طريق البحر الاحمر، فموانىء الشام بمعظمها بيد الصليبيين، وما هو بيد المسلمين إما مهدم أو غير آمن، فزادت موارد الدولة الايوبية من جهة، وأضعف النشاط التجاري للصليبيين ([25]).

وكان للملك العادل الايوبي دور كبير في تشجيع التجارة عبر مصر ، خلال سنة (608هـ/1211م)،تواجد في مدينة الاسكندرية وحدها حوالي ثلاثة آلاف تاجر من الصليبيين ([26]).ماعدا مرافقيهم ومساعديهم وعمالهم وبحارة سفنهم، مما شكل حركة تجارية نشطة، كانت الدولة الايوبية بأمس الحاجة اليها،لحاجتها الى كثير من المواد المجلوبة، وللرسوم الوافرة المفروضة على التجارة، وسار الملك الكامل الايوبي حاكم مصر على نهج والده العادل في دعم حرية التجارة لإدراكه أهمية أستفادة بلاده منها، ففي سنة (629هـ/1232م)، كان الكامل في دمشق يستعد لحملة الجزيرة، فوصله الخبر ان رسل جمهوريات البندقية وجنوة وغيرها في الاسكندرية ينتظرون الاذن لمقابلته من اجل توثيق العلاقات التجارية المتبادلة فيما بينهم ([27]).

3.2. أهم الطرق التجارية الداخلية والخارجية:

كانت تتم عمليات التجارة ونقل السلع والبضائع على زمن الحروب الصليبية،من خلال الطرق التجارية التي أثرت فيها البيئة الطبيعية والجغرافية من جهة وموقع المراكز التجارية العامة من جهة أخرى،ولعبت هذه الطرق دورا مهما في التحكم بالتجارة،وتقسم الطرق التجارية الى قسمين داخلية وخارجية.

أ–الطرق الداخلية

طريق دمشق– عكا: يبدأ هذا الطريق من مدينة دمشق يمر بمدينة بانياس وتفرض هناك ضريبة يذكرها ابن جبيربقوله: ((والضريبة فيه دينار وقيراط من الدينار الصورية على الرأس ولا أعتراض على التجارفيه،...،والدينار أربعة وعشرون قيراطا)) ([28])،ومن بنياس الى مدينة عكا التي تعد أهم المراكز التجارية لدى الصليبيين في بلاد الشام ([29]).

وهناك طريق آخر يربط بين دمشق وعكا إذ يبدأ هذا الطريق بمدينة دمشق ويمر بمدينة أربد ثم الى القصير في الأغوار ثم الى طبرية وينتهي بمدينة عكا، ويتميز هذا الطريق بسهولة السير فيه قياسا بالطريق الاول لذلك كانت تسلكه قوافل الجمال وكانت الضرائب تفرض على الطرفين الاسلامي والصليبي ([30]).

طريق: دمشق– بيروت – طرابلس – صيدا – صور:

تعد دمشق من أهم المدن في بلاد الشام لذا كانت تتصل مع كل المدن الرئيسية في الداخل وعلى الساحل الشامي، والطريق العام الرئيسي بين دمشق والبحر كان يصل ببيروت ([31])،كما كان هناك طريق يصلها مع طرابلس ، مرورا بالزبداني وبعلبك،ويعد هذا الطريق من الطرق المهمة، واما الطريق الثالث فكان يصل مدينة دمشق بمدينة صيداويصل في عين الحجر، والطريق الرابع كان يصل مدينة دمشق بمدينة صور من خلال مدينة بانياس ([32]).

طريق طبرية – الرملة: يبدأ هذا الطريق((من طبرية الى اللجون عشرون ميلاً ومن ثم الى قلنسوة عشرون ميلا ثم الى الرملة مدينة فلسطين اربعة وعشرون ميلا)) ([33])،وكانت مدينة الرملة من المدن والمراكز المهمة في بلاد الشام، وكانت تتصل من البحر بطرق عديدة تصلها الى كل من أرسوف ([34])،وعسقلان كما يصل البحر الى مدينة الرملة بمدينة يافا،وهناك طرق فرعية تتفرع من الطرق الرئيسية وتصلها بالعديد من

المدن ومنها أشدود ورفح،وتتصل الرملة بمدينة رفح وبيت المقدس ([35]).

ب- الطرق الخارجية : وتنقسم الطرق التجارية الخارجية الى قسمين :

1-الطرق البرية: شكلت الطرق البرية العمود الفقري للتجارة في زمن الحروب الصليبية،والتي سهلت على التجار نقل الحاصلات والبضائع ومن اشهر هذه الطرق:-

أ-طريق حلب- بغداد: يبدأ من حلب الى منبج ومنها الى الرقة ومنها الى رأس العين ومنها الى نصيبين ثم الى مدينة بلد ثم الى الموصل ثم الى حديثة ثم الى السن ثم الى سامراء ثم الى عكبرا ثم الى بغداد ([36]).

ب-طريق الشام – مصر: يتجه ذلك الطريق من دمشق الى طبرية، ثم الى الرملة ومن الرملة الى غزة، ثم الى العريش ثم الى الفرما ثم الى القاهرة ([37])،وقد كانت القوافل التجارية تسلك ذلك الطريق الى ان قامت الحروب الصليبية،وعندما بنى بلدوين حاكم بيت المقدس حصن الشوبك ومن ثم أخذ يوجه غاراته على العريش، مما أدى الى اغلاق ذلك الطريق من ناحية، وسيطرة الصليبيين على طرق القوافل من ناحية اخرى، وعندما استرد المسلمون بيت المقدس على يد السلطان صلاح الين الايوبي سنة (583هـ/1187م)، عادت القوافل التجارية الى طريق الساحل ([38]).

ج-طريق القسطنطينية – انطاكية: وهو طريق بري يبدأ باختراق جبال طوروس خلال الدرب الكبير المعروف بابواب قيليقية، ومنها الى ان يجتاز سلسلة جبال امانوس الى انطاكية خلال الدرب، المعروف بأسم ابواب الشام ([39]).

د-الطريق الذي يبدأ من غرب اوربا الى المشرق: ويبدأ هذا الطريق من بلاد الاندلس الى طنجة عبر مضيق جبل طارق، مجتازا المغرب الاقصى والاوسط والادنى عن طريق تونس، حتى يصل الى مصر، ثم يتجه الى بلاد الشام مارا بالرملة ودمشق ([40]).

2- الطرق البحرية (النهرية والموانىء) ومن اهم هذه الطرق :

أ-الطريق من حلب الى الرقة ومنها الى بالس ومنها تحمل التجارات التي ترد من مصر وسائر ارض الشام في السفن إلى بغداد ([41])، وقد أستفادت بلاد الشام من موقعها على الساحل الشرقي للبحر المتوسط وكان لها السيادة في بعض الفترات على الاسطول التجاري والعسكري وكانت طرابلس وصور وعسقلان واللاذقية من الموانىء المهمة على البحرالمتوسط، وتأتي بعدها في الاهمية كل من السويدية وجبلة وبيروت وصيدا وحيفا وغزة ([42])، وقد صور لنا ابن جبير مينا عكا ودوره في الحركة التجارية بقوله: ((هي قاعدة بلاد الفرنج بالشام ومحط الجواري المنشأت كالأعلام مرفأ كل سفينة والمشبهة في عظمتها بالقسطنطينية مجتمع السفن والرفاق)) ([43]).

وشهدت موانىء بلاد الشام حركة تجارية قوية إبان الحروب الصليبية، وبلغت ذروتها بعد حركة المقاطعة الاوربية لتجارة المرور عبر الاراضي المصرية أثر توسع نشاط التجار الإيطاليين الى موانىء الشام بعد قيام الإمارات الصليبية في المنطقة ([44])،وهناك طرق تربط بين بلاد الشام والبندقية ومصر ولعل من اهم الطرق البحرية التي سلكها البنادقة نحو الشرق، والطريق الذي يبدأ من البندقية شمالا على البحر الادرياتي والتي كانت مركزا للأسطول البندقي في الذهاب والإياب، ثم ومنها الى كورفو التي كانت مركزا لشحن وتسويق السلع الواردة من الشرق، وتتجه السفن التجارية كورون ومودون وهما جزيرتان يونانيتان ثم الى كريت ثم الى الاسكندرية أو الى دمياط، أما القوافل المتجهة نحو الشام فكانت تتجه الى قبرص ثم الى بلاد الشام ([45]).

ب-طريق بحري من الشرق الأقصى الى البحر الأحمر: وله فرعان يتجه احدهما شمالا بعد ان يترك البحر الاحمر عبر سينا ثم الى دمشق والى موانىء البحر المتوسط ([46])،وأتصلت اللاذقية بمناطق فمنها الى انطاكية وبيزنطة وان نطاكية تتصل مباشرة بالموانىء البيزنطية ([47]). كما كان لبلاد الشام مع مصر طريق رئيسي يربط موانىءالبلدين، وكانت الموانىء التي تزودها السفن القادمة من بلاد الشام هما الفرما، وتنيس ([48]) ، والاسكندرية ، والقاهرة، وكانت القاهرة متصلة بالبحر المتوسط عن طريق النيل والتي كانت أغلب السفن الموجودة هي مراكب بلاد الشام ([49]).

ومن الجدير بالذكر ان الرحلات التجارية في البحر المتوسط والمتجهة الى صقلية والمغرب والاندلس كانت تشتد في مواسم معينة، وقامت جميع هذه الطرق الخارجية بدور كبير في تجارة بلاد الشام وكذلك سهلت عملية التبادل الحضاري بينها وبين تلك البلدان ([50]).

ساهمت الطرق التجارية البحرية على ازدهار النشاط التجاري بين مصر وأوربا ، وقد بلغت أوج عظمتها في الازدهار وكانت الجمهوريات الإيطالية البندقية وجنوة وبيزا لها اكبر نصيب في هذه التجارة التي ترد إليها من مصر ومن الهند والشرق الأقصى عن طريق المحيط الهندي فخليج عدن فالبحر الاحمر حتى عيذاب فالقاهرة ومنها الى الاسكندرية أو دمياط في طريقها الى اوربا ([51]).

3. المبحث الثاني

1.3. أهم المراكز التجارية:

خلال القرنين السادس والسابع الهجري/ الثاني عشر والثالث عشر الميلادي ، كانت مدن وموانىء الشام مراكز لتجمع السلع، أقام فيها التجار للاشراف على مصالحهم التجارية، أزدهرت على الساحل بعض المدن الواقعة تحت سيطرة الصليبيين مثل عكا وصور وبيروت وطرابلس وانطاكية واللاذقية" وكذلك كانت حلب ودمشق وحماة وحمص أهم المراكز التي كانت في أيدي المسلمين. ومن أهم المركز التجارية في مصر الاسكندرية ودمياط والفرما وايلة وعيذاب كانت من المراكز المهمة خلال زمن الحروب الصليبية.

ومن أهم المراكز التجارية في بلاد الشام:

1-مدينة عكا: وتأتي مدينة عكا في مقدمة هذه المركز التجارية التي تبوأت لها مكانة مرموقة، وقد ساعدها على ذلك عوامل عديدة منها:

حسن موقعها، وميناؤها المزدوج الحصين ، ووجود الجاليات الإيطالية بكثرة في الاحياء المخصصة لهم في المدينة، وخاصة في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، بعد أن أصبحت العاصمة السياسية والدينية للمملكة الصليبية بعد أسترداد المسلمين مدينة القدس بعد معركة حطين الشهيرة في سنة (583هـ/1187م)، وكانت عكا من أهم موانىء المملكة الصليبية، فكان ينزل هناك أعداد كبيرة من التجار والحجاج، وكان الميناء الفسيح الآمن يأوي عددا من السفن المخصصة لنقل البضائع والحجاج ([52]).

ولكون عكا من أهم المدن الساحلية ببلاد الشام خلال القرنين السادس والسابع الهجري /الثاني عشر والثالث عشرالميلادي،تمتعت بنفوذ تجاري عظيم ذات اهمية كبيرة، وقد شبهها ابن جبير في اهميتها بمدينة القسطنطينية، قائلاً: ((ملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الأفاق، سككها وشوارعها تغص بالزحام، وتضيق فيها مواطىء الاقدام)) ([53])،كما وصفها ابن تغري بردي عكا قائلا : ((كانت مكتظة بالتجار)) ([54])،واعتبرت عكا أنشط الموانىء في التجارة، وكان الميناء الطبيعي لدمشق، ولم تستخدم فحسب لمنتجات مصانع دمشق وأراضي حوران فقد ،وإنما أستفاد منها التجار القادمون من اليمن ([55])،على ان العائق الوحيد في ميناءعكا ، وهو ان الميناء الداخلي بلغ من الصغر انه لم يتسع للسفن الكبيرة في ذلك الوقت، فكان من الضروري أن ترسو تلك السفن خارج حاجز المياه فتتعرض للرياح الجنوبية الغربية، وأما ان تمضي إزاء الساحل الى ميناء صور الذي يفوق مينا عكا أتساعا وأمنا ([56]).

2-مدينة بيروت: وتعد بيروت من المراكز التجارية الهامة في بلاد الشام ، والتي تأثرت بالنشاط التجاري الصليبي، وذلك بفضل موقعها الساحلي، وميناؤها المتميز الذي كان يستقبل السفن التجارية الاوربية، وقد برزت أهمية بيروت التجارية في الفترة الصليبية، إذ كانت في سوق بيروت الفلفل والبخور والنيلة(مادة صباغة) وغيرها من السلع ([57])،ولذا كان يتردد عليها التجار في موسم التجارة محملين بالسلع الشرقية ويعودون محملين بالسلع الغربية، وقد لعبت مدينة بيروت دورا هاما في التجارة الداخلية لبلاد الشام، وذلك لأنها كانت ميناء دمشق على البحر المتوسط ([58])،حيث كانت تمر به السلع التي تصل الى دمشق من البحر المتوسط، أو التي تخرج منها الى أوربا، كما ان ميناء بيروت كان السوق الطبيعي لمنتجات دمشق المحلية، ولذا كانت بيروت المركز الرئيسي للجنويين والبيزيين ([59]).

3-مدينة طرابلس: وتأتي في الأهمية بعد بيروت، لان ميناؤها يشكل أهمية بالنسبة لتجارة الشام في الفترة الصليبية، الخارجية منها والداخلية، فهو مخرج حلب، كما أنه صلة التجار الاجانب من آسيا وأوربا والتجار الشاميين من حمص وحلب ودمشق وحماه وبعلبك ([60]) ، فقد كانت مخازن طرابلس مكتظة بالبضائع الثمينة، وميناؤها الواسع يجذب إليه السفن من مختلف البلدان ([61])،وهكذا توفرت لها مقومات ساعدها في إبراز الدور التجاري لها، منها الوجود الايطالي بها ، حيث مارس التجار الإيطاليون نشاطهم التجاري بالمدينة، ولذا أصبحت مركزا تجاريا هاما في في الفترة الصليبية ([62]).

4-مدينة أنطاكية: تعتبر مدينة أنطاكية ضمن المراكز التجارية الهامة في بلاد الشام في الفترة الصليبية وقد أزداد نشاطها التجاري بفضل موقعها التي تقع على ضفاف نهر العاصي، وترتبط بالبحر عن طريق ميناء السويدية، وقد اتاح لها هذا الموقع الأتصال الدائم والمستمر بمدينة حلب المتصلة بالرقة وغيرها من مدن الفرات، كما كانت على أتصال بالمدن التجارية الواقعة على نهر دجلة كالموصل وبغداد والبصرة، فقد كانت أنطاكية منفذا لتجارة حلب، وكان يتردد على مينائها الواقع على البحر السفن التجارية الإيطالية، مما ساعد على أزدهارها التجاري خلال الفترة الصليبية ووجود التجار الإيطاليين في الاحياء المخصصة لهم في المدينة، بفضل الامتيازات التي حصلوا عليها بالإضافة الى شهرتها الصناعية وخاصة الحرير والبسط والزجاج والفخار والصابون وغيرها مما جعل القوافل التجارية القادمة من حلب والجزيرة من إجتياز أبوابها وهي في طريقها الى البحر ([63]).

5-مدينة اللاذقية: وهي من المراكز التجارية الهامة في بلاد الشام خلال الفترة الصليبية،كان موقعها في اتجاه أنطاكية، وموقعها المتميز على البحر المتوسط ساعدها على إبراز دورها التجاري، وموقعها الساحلي ومنتجاتها الغنية ، وأستقبالها للمتاجر الشرقية الأتية من أسواق حلب، حيث كانت السفن الإيطالية تحملها من ميناء اللاذقية الى أسواق أوربا ([64])،وكانت ميناؤها حصينة مفتوحة لكل السفن، وظلت اللاذقية على نشاطها التجاري حتى بعد فتور الصراع الإسلامي الصليبي ودليل ذلك ما ذكره الأنصاري الدمشقي بقوله :((والميناء الذي باللاذقية من أعجب الموانى في البحر وأوسعهم، ولا يزال حاملا للسفن الكبار وعليه سلسلة من حديد حاصرة المراكب مانعة من مراكب العدو)) ([65]).

6-مدينة دمشق: فقد كانت دمشق من أشهر المراكز التجارية في بلاد الشام وكانت تحفل بالأسواق العديدة والمليئة بشتى أنواع البضائع والسلع وقد أشار ابن جبير إلى أزدهار النشاط التجاري بها أثناء رحلته الى بلاد الشام في نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ([66])،فقد كانت دمشق مستودعا لمتاجر الشرق الأقصى تتلقى توابل الهند من جهتين عن طريق الخليج العربي ونهر الفرات، وعن طريق عدن ومكة ولهذا راجت التجارة فيها، واكتظت بالسلع وقد أستفادت دمشق أيضا من الحركة التجارية النشطة خلال الفترة الصليبية وأصبحت سوقا رائجة للتجارة الداخلية والخارجية ([67])،وشهدت فترة السلم بين المسلمين والصليبيين تردد التجار الإيطاليين إلى أسواق دمشق، مما أدى إلى ازدياد النشاط التجاري بها، فقد كانت قوافل التجارة من دمشق إلى عكا أو بالعكس مستمرة لاتتوقف ([68])،مما يثبت أهمية دمشق كمركز تجاري هام في بلاد الشام.

7-مدينة حلب: كانت حلب من المراكز التجارة الداخلية الهامة في بلاد الشام، حيث كانت حلب تمثل نقطة التقاء القوافل التجارية الآتية من الموصل والرقة وهي في طريقها إلى أنطاكية أو إلى مملكة أرمينيا الصغرى، وكانت حلب مستودعا لبضائع الشرق الأقصى والتي كانت تصدر إلى أوربا وقد أستفادة حلب من هذا الموقع الهام، وأصبحت مكان التقاء التجار من كل الأجناس وكان هؤلاء يلقون بالترحاب ([69])،كما لعبت مدينة حلب دورا تجاريا هاما في تجارة أنطاكية الصليبية ([70]).

أهم المراكز التجارية في مصر:

1-الاسكندرية : كانت الاسكندرية من المراكز الهامة للتجارة بين الشرق والغرب حيث كانت تنقل منها التجارة القادمة من أوربا الى البحر الأحمر والتجارة القادمة من الشرق الى أوربا وكانت السفن بعد إبحارها من الاسكندرية ترسو أول الامر في ميناء برقة حيث تكثر فيه السلع الشرقية والغربية، لذا يمكن القول بأن الاسكندرية كانت سوقا دوليا وميناء حر لمختلف البضائع ([71]).

2-مدينة دمياط : كانت دمياط مركزا تجاريا مهما عند مصب فرع النيل الشرقي حيث تعد حلقة الوصل بين نهر النيل والبحر المتوسط ([72])،وكانت مركزا لتبادل السلع والبضائع الصادرة والواردة من أوربا وإليها حيث يؤمها التجار الأوربيون كالبنادقة وجالية القديس يوحنا في قبرص الذين تميزوا مع البنادقة عن الجنويين والفلورنسيين بحصولهم على قناصل فيها ([73]).

ونظرا لموقع دمياط وميناؤها المهم دفعت بالصليبيين بأستهدافها،لانه يعد المدخل الرئيس لاحتلال مصر، وخير دليل على قولنا ما ذكره ابن تغري بردي بقوله:((أطلعوا على عوراتها وطمعوا فيها)) ([74])،أي بمعنى ان الصليبيين أكتشفوا أهميتها التجارية وميناؤها المهم.

3-الفرما: كانت مدينة الفرما من المراكز التجارية المهمة للتجارة بين الشرق والغرب، حيث كانت تنقل منها التجارة الآتية من أوربا الى البحرالأحمر والتجارة الآتية من الشرق الى أوربا فقد كانت السلع تحمل على الدواب الى القلزم ومنها تنقل عبر البحر الاحمر ([75]).

4- إيلة والقلزم: فكانتا من أهم المراكز التجارية على البحر الأحمر واللتين كانتا المنفذين الرئيسين في شمالي البحر الاحمر وعن طريقهما كانت تنقل السلع من الغرب إلى الشرق وبالعكس ([76]).

ويبدو ان التجارة تمثل أهمية حيوية بالنسبة للمسلمين والصليبيين معا، وذلك نظرا لما كان يجنيه الطرفان الإسلامي والصليبي من موارد مالية من عائد هذه التجارة في صورة ضرائب ورسوم جمركية على القوافل التجارية، لذا حرص الطرفان على الاهتمام بالتجارة وأستمرار النشاط بينهما، وتقديم كافة التسهيلات للتجار ومساعدتهم للقيام بعملية البيع والشراء.

2.3. أهم المؤسسات لخدمة التبادل التجاري التي كانت محور النشاط التجاري:

ان التبادل التجاري بين المسلمين والصليبيين كان له أثره الكبير في حالة الانتعاش ، التي شهدها المجتمع الاسلامي في بلاد الشام وخاصة في المدن، ومثال على ذلك ما ذكره المصادر المعاصرة هو ان الملك نور الدين محمود زنكي تشجيعا منه للتبادل التجاري ، فقد أمر بإعفاء التجار من المكوس التي يدفعونها، لكي يقوموا بدورهم بتخفيض أسعار السلع للإكثار من عدد التجار الذين يترددون عليهم وعلى البلاد لشراء ما يصل إليها من منتجات البلاد الاخرى والسلع التي يتم انتاجها محليا ([77])،ومثال أخر حسب ما ذكره ابن القلانسي انه في سنة (527هـ/1132م) فإن شمس الملوك بن تاج الملوك بوري حاكم دمشق قد :((أنتهى إليه من ناحية الفرنج ما هم فيه من فساد النية والعزم على نقض الموادعة المستقرة، وشكا إليه بعض التجار الدمشقيين ان صاحب بيروت قد أخذ منهم عدة أحمال كتان قيمتها جملة وافرة من المال، فكتب الى مقدم الافرنج في رد ذلك على أصحابه واعادته إلى من هو أولى به وترددت المكاتبات في ذلك...)) ([78]).

كما يؤكد لنا ابن الاثير وهو معاصر مدى حرص المسلمين على قيام علاقات سلمية مع الصليبيين كي يتم التبادل التجاري بين الطرفين لما فيه من مصلحة مشتركة، ففي حديث عن سنة(567هـ/1172م)، يذكر ان نور الدين زنكي كان قد هادن حكام الصليبيين في انطاكية حتى يتسنى للمسلمين وبخاصة من أهل حلب والموصل تصدير بعض السلع التي يتاجرون فيها الى مصر،أو يستوردونها من مصر عن طريق ميناء اللاذقية الخاضع لهذه الامارة ، وبالرغم من أن الصليبيين في هذه السنة كانوا قد طمعوا في مركبين من مصر الى الشام فأرستا بمدينة اللاذقية، وهما مملؤتان من الامتعة والتجارة ونكثوا عهدهم، مما دفع نور الدين الى مهاجمة بلادهم ، إلا انه عندما راجعه الصليبيين وبذلوا جميع ما أخذوه من المركبين وطلبوا منه تجديد الهدنة معهم،أجابهم الى ذلك، بعد أن أعادوا ما أخذوه ([79]).

كما ان المعاملة التجارية والمعاهدات التجارية بين الطرفين الإسلامي والصليبي، فقد تناولت هذه المعاهدات أمورا متعددة من أهمها التأكيد على أمن التجار وحريتهم وحرية تجارتهم، وحرية التنقل من البلاد الاسلامية الى البلاد التابعة للصليبيين والعكس، كما وضعت مواد خاصة في المعاهدات التي تم عقدها بين المسلمين والصليبيين تتناول السلع الممنوعة والمحظور والتعامل بها أو نقلها من بلاد الصليبيين الى بلاد المسلمين أو العكس وما يعمل به في حالة مخالفة التجار ذلك، وما يتخذ ضدهم من إجراءات، كان الايوبيين في صراع اقتصادي ايضاً مع الصليبيين في كسب المدن الايطالية الى جانبهم وذلك لضمان استمرا الحركة التجارية بين الشرق والغرب التي تضمن للدولة الحفاظ على الموارد الاقتصادية لهم ([80]).

ومن تلك المعاهدات منها انه في سنة (607هـ/1208م)، قدم الى مدينة حلب سفير بندقي يدعى مارينياني لعقد معاهدة تجارية مع أمير حلب غياث الدين غازي بن صلاح الدين، تم بمقتضاها حصول البنادقة على

حمام وكنيسة في حلب بالاضافة الى فندقهم، كما تم تحديد الرسوم التي يدفعونها بواقع 12٪ ([81])،وفي سنة (622هـ/1225/)، أيام العزيز بن الظاهر الغازي تم تخفيض هذه الرسوم الى 6٪ وحصولهم على امتيازات بان يكون لهم محكمة وفندق وكنيسة وحمام ومخبز في مدينة اللاذقية ([82])، وفي سنة (626هـ/1229م) عقد البنادقة مع الملك العزيز بن الملك الظاهرغازي معاهدة تجارية ، وكان اهمم ما جاء فيها حصولهم على حق التعيين وكيل لهم للقيام بحل مشاكلهم ،وإقامة فندق جديد لهم قرب جسر الساغور على نهر العاصي لتسهيل تنقلهم بين حلب واللاذقية ([83]).

منذ ان أخذت العلاقات التجارية بين المسلمين والصليبيين الاستقرار في العصر الايوبي ، صرح الحكام المسلمين للقناصل حسب المعاهدات المبرمة بمقابلة السلطان نفسه في عاصمة مملكته في القاهرة لأستعراض شؤون الفندق،وعمل القائمين عليه، وأحوال ابناء الجاليات ومصالحهم وامتيازاتهم، فعلى سبيل المثال ففي عهد الملك العادل الايوبي(597–615هـ/1200–1218م)، سمح لقناصل الدول التي تربطها علاقات تجارية بالأيوبيين ان يقابلوا السلطان عشر مرات في السنة ([84])،بحيث سمح لأي فرد من ابناء الجاليات إذا حمل بضائع ولم يرغب في بيعها، وطلب سحبها فإنه لا يحق لأي سلطة أن تمنعه من ذلك، ولا يدفع عنها ضرائب أو رسوما جمركية وفي مثل هذه الحالة كانوا يدخلون الموانى والمدن الاسلامية لشراء أية بضائع، ثم يسمح لهم بمغادرة البلاد من دون غير عائق ([85]).

كذلك ضمت المعاهدات التي وقعت بين الطرفين نصوصا خاصة بالتعامل ومنع الغش والتلاعب، ومثال ذلك ما جاء في المرسوم الصادر لهؤلاء التجار،في ما يتعلق بالبضائع وما يكشف منها انه فاسد بعد عملية التسويق والتوثيق والشهادة بردها، وفي حالة وقوع خلاف حولها بين هؤلاء التجار والتجار المسلمين فقد اتاحت لهم تلك المعاهدات وغيرها حق التوجه الى ساحة القضاءن ولكنه كان يشترط دائما ضرورة إيجاد مستندات موثقة أو تحمل صفة الشرعية بشهادة شهود عليها ضمانا لحقوق كافة الاطراف المتنازعة ([86])،وظل الملك العادل يأمل في ان لاتبلغ الصليبيين الى نقض العهد ،وشاركه في هذه الامال ابنه الملك الكامل الذي حرص بصفة خاصة ان يكفل لرعاياه الرخاء المادي ([87]).

ومن أهم المؤسسات الخدمية للتبادل التجاري

1–الخانات: الخان عبارة عن مبنى ضخم يحتوي على مجموعة من الحوانيت الكبيرة والصغيرة، ومستودعات للبضائع ويتوسط الخان فناء كبير على هيئة رواق حيث يحفظ التجار بضائعهم،وفي الخان يجد التجار المأوى لهم ولدوابهم خلال رحلاتهم ([88]).

ان حكام المسلمين قد أهتموا أهتماما بالغا ببناء الكثير من الخانات على طول الطرق التجارية التي تربط بين العراق وبلاد الشام من جهة، ومصر والشام من جهة ، أو بين بلاد الشام والحجاز من جهة آخرى، وكان الهدف هو تسهيل التجارة الداخلية بين البلدان الإسلامية من ناحية ، وبالتالي خدمة التجارة الخارجية من ناحية اخرى، فلقد أهتم الملك نور الدين محمود زنكي ومن بعده السلطان صلاح الدين الأيوبي أهتماما كبيرا بأمر التجارة، وحرصا على حماية طرقها من المفسدين ، فأنشا نور الدين محمود الخانات للتجار على طول الطرق التجارية التي تربط بلاد الشام بعضها ببعض، فأمن الناس وحفظت أموالهم، وأقام الابراج لحماية الطرق التجارية، وأزال المكوس المفروضة على التجارة ليشجع التجار على التردد على بلاده ([89]).

وقد وصف ابن جبير الخانات التي مر بها في طريق بلاد الشام على أيام صلاح الدين الأيوبي، فذكر الكثير عنها، وقال عن بعضها إنها كالقلاع مناعة وحصانة، وان أبوابها من الحديد وهي من الوثاقة في الغاية. وكذلك قال عن طريق من حمص الى دمشق أنه كثير الخانات، ومن هذه الخانات خان السلطان الذي بناه صلاح الدين الأيوبي ((وهو في غاية الوثاقة والحسن، بباب حديد على سبيلهم في بناء خانات هذه الطرق كلها وأحتفالهم في تشييدها، وفي هذا الخان ماء جار، يتسرب الى سقاية في وسط الخان كأنها صهريج...)) ([90]).

2–فئات الخدمات التجارية : نشأ عن قيام عمليات التبادل التجاري بين الطرفين من مسلمين وصليبيين في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، أن ظهرت الحاجة الماسة إلى فئات الخدمات التجارية مثل السمسار، والمثمن، والمترجم ، والحمال ، والكيال، والبريدي وغيرهم ([91])،وأبناء هذه الفئات كانوا يعملون في الفنادق في المدن الإسلامية لخدمة تجار الصليبيين، وفي الخانات في المدن التي خضعت لحكم الصليبيين ببلاد الشام لخدمة التجار المسلمين وغيرهم ([92]).

ففي المدن التي كانت تحت حكم الصليبي وجد في كل مدينة منها عدد من الموثقين الذين يقومون باعداد الاتفاقيات بين التجار، وكانوا يستخدمون اللغة الفرنسية والإيطالية، وربما وجد معهم بعض التراجمة للترجمة الى اللغة العربية ([93]).

حيث كان هناك عدد كبير من تجار البنادقة قد تعلموا اللغة العربية لإقامتهم الشبه الدائمة في البلاد فترة الحروب الصليبية، وقام الكثيرون منهم بالأشتغال بهذه المهنة، بل وتخصص فيها عدد من التجار المسلمين، وكانت مهمة هؤلاء الترجمة التوقيع على البضائع التي تم التخصيص عليها وتم دفع الضرائب المستحقة عليها الى جانب عمليات الترجمة بين المسلمين والصليبيين، وان المترجم كان معتمدا من الحكومات الإسلامية والصليبية، وثقة عند جميع الاطراف المتعاملة معه ([94])،فعلى سبيل المثال يذكر لنا ابن جبير انه عندما وصل ضمن القافلة التجارية الى مدينة عكا، ونزلوا الدائرة الجمركية وهي التي وصفها بأنها كانت معدة لنزول القوافل التجارية، وان أمام بابها مصاطب مفروشة، فيها كتاب الديوان ((الجمارك)) من النصارى، بمحابر الابنوس المذهبة، وهم يكتبون بالعربية ويتكلمون بها، ولهم رئيس يسمى صاحب الديوان ([95]).

أما في المدن الإسلامية فقد كان على التجار من الصليبيين أن يختاروا كاتبا ملما باللغة العربية مع لغتهم ليقوم بمصاحبتهم طوال إجراءات البيع، ويسجل لهم مبيعاتهم، ويباشر العمليات الحسابية، بل كان عليه ضرورة مراعاة عملية وزن البضائع، ومراعاة الدقة في ذلك حتى لايضاروا في حساب الضريبة عليها، فضلا عن ذلك كان للتاجر الصليبي الحق في عرض سلعته للبيع في فندقه، وكان للتاجر المسلم له الحق كذلك زيارة التاجر الصليبي في فندقه لفحص السلعة والتعاقد عليها بحضور الشهود، ولا يجوز التراجع عن العقد الإ بموافقة الطرفين ([96]).

3–**الاسواق الموسمية** : أرتبطت بعمليات التبادل التجاري بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية وجود نوع من الاسواق في المدن الإسلامية والصليبية على حد سواء، وهي ما يسمى بالأسواق الموسمية، ومن تلك الاسواق ما كان يرتبط بقدوم الحجاج المسيحيين، والذين يكثر تواجدهم وحضورهم للاحتفال بعيد الفصح في مدينة بيت المقدس، حيث تشير كثير من المراجع انه أمام الباب الرئيسي لكنيسة القيامة كان يوجد فناء كبير والذي كان يقام فيه سوق موسمي عند مقدم الحجاج المسيحيين، وحيث تباع فيه الحلي والمسابح والصور الخاصة بالقديسيين، والتحف الشرقية التي يحرص كثيرون من أبناء الغرب الأوربي على اقتنائها ([97]).

وان الكثيريين من أبناء الغرب الأوربي من زاروا بيت المقدس كانوا يقضون شطرا كبيرا من وقتهم داخل الكنيسة في المساومة على المسابح والأحجار الكريمة، والقماش الدمشقي والحرير، ولم تكن غاية الجميع ان يشتروا لانفسهم، ولكن كانوا يفكرون في نقلها الى بلادهم للإتجار بها والربح، بل شارك بعض رجال الدين من الصليبيين في أعمال البيع والشراء هذه ([98]).

كما تجدر الإشارة الى ان الفرنج في بلاد الشام إدراكا منهم لما للتبادل التجاري من أهمية بالغة، وفوائد اقتصادية هامة، فقد أقاموا أسواقا موسمية، من ذلك ان بيت المقدس من خلال الحكم الصليبي قد عرفت نوعا من هذه الأسواق، حيث تفد أعداد كبيرة الى المدينة من الصليبيين ومن الشرق الإسلامي في الخامس عشر من الشهر التاسع سبتمبر كل سنة، كما يفد إليها التجار من المدن الإيطالية كالبندقة وجنوة وبيزا، وتجا مرسيليا وغيرهم، ليقوموا بشراء القرنفل، وجوز الطيب، والتوابل المجلوبة من الهند، والفلفل والبهار والبخور من عدن، والحرير من الصين، واللوز والزعفران، بلاضافة الى الملابس الثمينة والاسلحة من دمشق، ومن الطبيعي أن تشهد تلك الاسواق عقد الكثير من الصفقات التجارية بين المسلمين وهم الذين يحتكرون تجارة الشرق الأقصى، بين الصليبيين في بلاد الشام والذين نقلوا متاجر الشرقين الأدنى والأقصى الى المدن والمستوطنات الصليبية في بلاد الشام ومنها الى الغرب الاوربي ([99]).

وان هذه المواسم لم تكن قاصرة على المدن والموانى التي خضعت لحكم الصليبي في بلاد الشام، بل ان بعض المدن الإسلامية كانت تقام فيها تلك الاسواق الموسمية، مثال مدينة دمشق التي يذهب إليها كثير من تجار الصليبيين طلبا لمنتجات البلاد الأسيوية، حيث كانت دمشق في تلك الفترة مركز المنطقة، وذلك لموقعها الجغرافي الممتاز، والذي جعل منها نقطة تلاقي البضائع الواردة من بلاد فارس، وبلاد النهرين، وآسيا الصغرى، بالاضافة مع البضائع القادمة من مصر ([100]).

ويتبين من خلال هذا الشرح ان هذا التبادل التجاري والتسامح بين الطرفين ظهر نوع من تغلب المصالح الاقتصادية، وأظهر الطرفان الإسلامي والصليبي نوعا من التسامح تجاه الطرف الآخر، وعلى حد قول هايد:((أن الارباح الهائلة التي حققها الطرفان من جراء عمليات التبادل التجاري بينهما، أوجبت عل كل من المسلمين والصليبيين في بلاد الشام أن يظهروا بمظهر التسامح الديني)) ([101]).

بألاضافة الى حرص السلطات الجمركية على تأمين التجار على أنفسهم وأموالهم وعدم التعرض لهم مطلقا حتى لايكون لديهم شك في حسن معاملة السلطات معهم، بل إنها كانت تحرص على تعيين الكثير من الحراس والخدم لحماية وحراسة بضائعهم داخل المناطق الجمركية ([102]).وهذا يؤكد مدى ما وصلت إليه العقلية الإسلامية من سمو في التفكير.

هذا بألاضافة إلى أن بعض المدن التي خضعت لحكم الصليبي كان لها شهرتها القديمة في انتاج بعض السلع والتي لم يكن في استطاعة المسلمين الاستغناء عنها، مثال ما تذكره بعض المصادر من ان مدينة طبرية كانت تشتهر بصناعة الحصران، والذي يقبل عليه الكثير من المسلمين وبخاصة حصير الصلاة، وقد جرت صناعة الحرير الشامية في عكا وبيروت واللاذقية، والمنسوجات الصوفية من أهم السلع التي حملها أساطيل الصليبية والبنادقة وبوجه خاص الى موانىء مصر والشام، إلى جانب الحديد والرصاص والنحاس ومعدني الذهب والفضة وكانت تجارة التوابل من أهم ما يتصدر الى الغرب الأوربي من قبل المسلمين ([103]).

وكذلك كان لاسواق مدينة عكا دور كبير في عملية التبادل التجاري، فقد وجدت على سبيل المثال في أسواق عكا أسواقا لبيع اللحوم والجلود المدبوغة، كما وجد سوق للرقيق، حيث كان يباع فيه أسرى الحرب الذين وقعوا في الأسر نتيجة المعارك العسكرية بين الطرفين الإسلامي والصليبي، بالإضافة إلى الرقيق الذي كان يجلبه التجار الإيطاليون وخاصة الجنوية من أوربا وجنوب روسيا إلى أسواق عكا، وبالإضافة إلى أسواق الرقيق كانت توجد في عكا أسواق التوابل والبهارات، والسكر والمواد الغذائية والمنسوجات، وأسواق المعادن الثمينة كالعاج والذهب ، وكذلك أسواق لبيع الخزف والرخام ، وأسواق للخيول والأسلحة كالأقواس والسهام ([104]).

3.3. **النظم والمعاملات التجارية**:

ترتبط الأسواق ارتباطا وثيقا بالنظم المالية من ضرائب ورسوم جمركية وعملات نقدية متداولة، وتؤثر هذه النظم المالية في حركة الأسواق سلبا أو إيجابا، وفقا للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها أي مجتمع. وعلى ضوء هذه النظم تكون حركة السوق نشاطه أو كساده، وينطبق هذا على أسواق المناطق الصليبية في بلاد الشام، كما أرتبط مصير هذه الاسواق ايضا بالسياسة النقدية التي تتعلق بالعملات المتداولة في المناطق الصليبية ([105]).

وقد شملت الضرائب التجارية التي فرضها الصليبيون رسوما على استخدام المكاييل والموازين والمقاييس الملكية، ورسوما عند البوابة ورسوم الطريق التي كانت تدفعها القوافل التجارية الآتية من مصر في طريقها الى بلاد الشام عبر الاراضي الصليبية ([106])،فقد كانت وحدة الكيل للحبوب والغلال في الاسواق الصليبية في بلاد الشام هي الغرارة، وفي ذلك يقول القلقشندي عن مكاييل بلاد الشام :((وأما كيلها الذي يعتبر به مكيلاتها فبالغرارة، وهي اثنتا عشر كيلا، كل كيل ستة أمداد،وينقص قليلا عن ربع الويبة المصري ونسب الإردب من الغرارة، أن كل غرارة ومد ونصف ثلاثة أرادب بالكيل المصري)) ([107]).

اما عن الموازين التي استخدمت في الاسواق الصليبية في بلاد الشام فكان الرطل هو وحدة الموازين، ويتحدث القلقشندي عن موازين بلاد الشام، فيقول:((وأما رطلها الذي يعتبر به موزوناتها فستمائة درهم بدرهم المتقدم تقديره، وأواقيه اثنتا عشرة أوقية، كل أوقية خمسون درهما)) ([108])،ونستخلص من هذا أن وحدات الوزن في الاسواق الصليبية كانت عبارة عن الرطل والأوقية والدرهم، وكان الرطل يساوي 12أوقية، والأوقية تساوي 50 درهما ([109])، و أن ثمة سلع في الاسواق الصليبية مثل انواع الطيب المختلفة كالمسك وغيرها، كانت تباع بالميزان وكان وحدة الميزان لمثل هذه السلع هو المثقال ويقول في عن المسك((والبيعة منه عشرة مثاقيل ونصف)) ([110]).

كان القماش يقاس بالذارع في الاسواق الصليبية، فقد ذكر جعفر بن علي الدمشقي، الذي كان من تجار طرابلس في الفترة الصليبية، أن قماش الاوداري كان ((طول كل ثوب منه إذا كان كاملا خمسون ذراعا ([111])،في شبرين ونصف)) ([112])،كما ذكر القلقشندي ان قياس القماش في اسواق بلاد الشام كان ((بذراع يزيد على ذراع القماش بالقاهرة بنصف سدس ذراع وهو قيراطان ..)) ([113]).وان الذراع كان يساوي اثنى عشر قيراطا.

أما بالنسبة الى سك النقود والعملات ، فإنه من الواقع ان الصليبيين عندما جاءوا الى فلسطين وبلاد الشام ، وجدوا نقودا وعملات متداولة في منطقة الشرق الإسلامي، وأهمها الدينار الذهبي الفاطمي الذي كان متداولة على نطاق واسع في طرابلس ومدينة القدس ([114])، وان الصليبيين قلدوا نوعين من الدراهم الاول كان تقليدا للدرهم الأيوبي المعاصر له في حلب، وربما سك الصليبيون نقودهم هذه في دور سك صليبية أو دور سك بندقية أو غيرها من المدن الإيطالية ([115])،وظل الصليبيون يقلدون الدرهم الأيوبية حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي إلى ان أصدر البابا قراره بوقف ومنع الصليبيين عن سك عملات تشبه العملات الإسلامية ([116]).

4. الخاتمة

توصل الباحث من خلال هذا البحث الى عدة استنتاجات من أهمها

اولا: نلاحظ من خلال هذا البحث ان الحركة الصليبية ، كانت لها أهداف واضحة المعالم ، وهو الحصول على المكتسبات الاقتصادية ولاسيما التجارية منها في المشرق الإسلامي ولاسيما في بلاد الشام ومصر.

ثانيا: ظهر دور المدن الإيطالية ولا سيما البندقية وجنوه وبيزا، في الحروب الصليبية من خلال نشاطهم التجاري الواسع النطاق ، وتمكنوا من تحقيق أهدافهم لان همهم هو التجارة ،وسيطروا على منافذ تجارة البحر المتوسط، وكونوا علاقات تجارية مع المسلمين والصليبيين على حد السواء.

ثالثا: من خلال الاتفاقيات والهدنة بين المسلمين والصليبيين، يظهر ان النشاط التجاري سار جنبا الى جنب مع التوسع الحربي، وكانت التجارة تمر خلال الصفوف العسكرية بمقتضى أتفاق متبادل، وقد حرص الجانبان الإسلامي والصليبي على ضمانة الأمن للتجارة المتبادلة بينهما، وكان الجانب الإسلامي ملتزم بتلك الاتفاقيات وذلك من خلال تلك المبادىء السامية التي كانوا يحملونها.

رابعا: ولاحظنا انه في بعض الاحيان كان الجانب الصليبي لايلتزم بالهدنة والاتفاقيات ونقضهم لها من خلال مهاجمتهم لقوافل التجارية للمسلمين وذلك لاطماعهم التوسعية.

خامسا: هناك نقطة مهمة لاحظناها من خلال البحث وهو تشجيع أمراء وسلاطين المسلمين للتجارة والعمل على قيام تأمين الطرق، ومراعاة مصالح التجار من كلا الطرفين الإسلامي والصليبي، وتسهيل المهمة لهم من اجل ان يمارسوا عملهم بكل حرية وأمان.

سادسا:كان للمراكز التجارية في بلاد الشام ومصر دور مهم في النشاط التجاري ، حيث كان يتم تبادل البضائع والسلع الواردة والصادرة منها، وكان لها فائدة لكلا الطرفين الإسلامي والصليبي.

5. الهوامش

1. سعيد عبدالفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط2، (بيروت، دار النهضة العربية،2003م) ، 213–214.
2. المرجع نفسه، ص214–215.
3. ستفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، (بيروت:1969م)،ج1،ص 437" عاشور، المرجع السابق، ص 215.
4. محمود محمد الحويري،الاوضاع الحضارية في بلاد الشام، (القاهرة،دار المعارف،1979م)،ص 105"عاشور،المرجع السابق،ص 216–217.
5. الحويري، المرجع السابق،ص 106.
6. المرجع نفسه، ص 106.
7. الحويري، المرجع السابق،ص 106–107

8. ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية،(القاهرة،د/ت)، ج2،ص56–57.
9. ابن الاثير، الكامل في التاريخ،تحقيق:عمر عبد السلام التدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي،2010م)، ج10،ص 18–19.
10. رحلة ابن جبير،تحقيق: محمد مصطفى زيادة،(بيروت،دار الكتاب اللبناني،د/ت) ، ص 201–211.
11. سهيل زكار، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية،ط1،(دمشق، الاوائل للنشر والتوزيع،2006م)، ج2،ص 271.
12. أرسنت باركر، الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني،(بيروت،دار النهضة العربية،1967م)،ص 146.
13. زكار، المرجع السابق،ج2، ص 271.
14. عزيز سوريال عطية، الحروب الصليبية وتأثيرها،(لندن:1962م)،ص 147" زكار، المرجع السابق،ج2،ص 171–172.
15. باركر، المرجع السابق، ص 29.
16. سهيل زكار، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، (بيروت، دار الفكر، 1994م)، مج3،ص 385.
17. أبن القلانسي،ذيل تاريخ دمشق،(بيروت، نشره أمدروز،1908م)،ص 143–144" زكار، المرجع السابق،ج2، ص 272.
18. زكار، المرجع نفسه،ج2،ص 273.
19. يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة : قاسم عبده قاسم و محمد خليفة حسن،(القاهرة،دار المعارف،1981م)،ص 158–159.
20. عبد الحافظ عبد الخالق البنا، اسواق الشام في عصر الحروب الصليبية،(القاهرة،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،2007م)،ص 23–24.
21. المرجع نفسه،ص 25.
22. عفاف سيد صبره ، العلاقات بين الشرق والغرب (علاقة البندقية بمصر والشام)،(القاهرة، دار النهضة العربية،1983م)،ص 225.
23. توفيق اسكندر،بحوث في التاريخ الاقتصادي،(القاهرة،الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،1961م)،ص 176.
24. باركر، المرجع السابق،ص 134" زكار، المرجع السابق،ج2،ص273.
25. زكار، المرجع نفسه،ج2،ص 274.
26. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،نشره:محمد مصطفى زيادة،(القاهرة،لجنة التاليف والترجمة والنشر،1957م)،ج1،ص 294.
27. ابن نظيف، التاريخ المنصوري– تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق: ابو العيد دودو،(دمشق،مجمع اللغة العربية،1981م)،ص 248" زكار، المرجع السابق،ج2،ص 274.
28. رحلة ابن جبير، ص210.
29. علي سلطان عباس،مدينة عكا في العصرين الايوبي والمملوكي،رسالة ماجستير غير منشورة،(جامعة الموصل ، كلية الآداب، 1997م)، ص 95.
30. المرجع نفسه،ص 96.
31. محمد احمد زيود، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العهد الطولوني حتى نهاية العصر الفاطمي، (دمشق، دار الفكر، 1992م)، ص 329.
32. ابن حوقل،صورة الارض،(بيروت،منشورات دار مكتبة الحياة،1979م)،ص170–171" احمد محمد الياس،بلاد الشام إبان العصر الايوبي– دراسة في النشاط الاقتصادي–،رسالة ماجستير،(جامعة الموصل،كلية التربية،2011)،ص 119.
33. ابن خرداذبة، المسالك والممالك،(ليدن،مطبعة بريل،1899م)،ص78.
34. أرسوف: وهي مدينة من مدن فلسطين على ساحل البحر بينها وبين يافا ستة اميال. ابو الفداء، تقويم البلدان،(باريس، دار الطباعة السلطانية، 1850م)، ص 238–239.
35. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 170–171" الياس، المرجع السابق، ص 119– 120.
36. ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 116– 117.
37. المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار،(بيروت،دار الصادر، د/ت)،ج1،ص226.
38. الحويري، المرجع السابق، ص 122.
39. رنسيمان ، المرجع السابق ، ج1، ص 269–270.
40. جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق،(القاهرة ، 1964م)، ص 150" الحويري، المرجع السابق، ص 123.
41. ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار،(بيروت، دار الفكر،د/ت)،ج1،ص 121.
42. زيود، المرجع السابق،ص 332" الياس، المرجع السابق، ص 123.
43. رحلة ابن جبير، ص211.
44. امينة بيطار، تاريخ العصر الايوبي،(دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،د/م،1980م)،ص 221.
45. صبرة، المرجع السابق، ص121–122.
46. المرجع نفسه، ص 122.
47. زيود، المرجع السابق، ص 333.
48. تنيس: جزيرة في بحر قريبة من البر ما بين دمياط والفرما في شرقيها. ياقوت الحموي، معجم البلدان،(بيروت، دار الفكر، د/ت)،ج2،ص 51.
49. زيود، المرجع السابق، ص 332.
50. المرجع نفسه، ص 335–336.
51. نشوان محمد عبد الله الزبيدي، الاوضاع الحضارية في مصر في عصر المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية الآداب ،2010م)، ص 139.
52. البنا، المرجع السابق،ص 52–53.
53. رحلة ابن جبير،276.
54. النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة،(القاهرة ،1971)، ج6،ص 35.
55. الحويري، المرجع السابق، ص 129.
56. رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص 610.
57. فلهلم هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: احمد محمد رضا ،مراجعة عزالدين فوده ،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م) ، ص 186.
58. البنا ، المرجع السابق، ص 54.
59. هايد، المرجع السابق، ص 186" محمد كرد علي، خطط الشام، (دمشق، مطبعة الترقي، 1926م)، ج4،ص 268.
60. هايد،المرجع السابق،ص 182" نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها في العصور الوسطى، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973م)، ص 151.
61. هايد، المرجع السابق، ص 182.
62. البنا ، المرجع السابق، ص 55.
63. رنسيمان، المرجع السابق، ج2،ص 23.
64. هايد، المرجع السابق ، ص 180–181.
65. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (طبع بمدينة ليبيزج، 1865م)،ص 209.

66. المصدر السابق، ص 202.
67. هايد، المرجع السابق،ص 182.
68. البنا ، المرجع السابق،ص 59.
69. المرجع نفسه، ص 59.
70. المرجع نفسه، ص 159.
71. الزبيدي، المرجع السابق ، ص 142.
72. المرجع نفسه، ص 143.
73. مصطفى حسن محمد كناني، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1981م)،ص 370.
74. المصدر السابق ، ج5،ص 450.
75. الزبيدي، المرجع السابق، ص 144.
76. [1] المرجع نفسه، ص 144.
77. ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد،(بيروت،1971م)، ص 40.
78. المصدر السابق، ص 236–237.
79. المصدر السابق، ج9، ص 369.
80. علي السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين،(الناشر عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،1996م) ص 87.
81. علي، المرجع السابق،ص 79.
82. صبره، المرجع السابق،ص 91.
83. علي، المرجع السابق،ص 79.
84. صبحي لبيب، الفندق ظاهرة سياسية اقتصادية قانونية ،بحث منشور في مصر وعالم البحر المتوسط،(القاهرة،1986م)، ص 293.
85. علي ، المرجع السابق، ص 80–81.
86. المرجع نفسه، ص 81.
87. رنسيمان، المرجع السابق،ج3،ص 365.
88. للمزيد عن موضوع الخانات ينظر. زيود، حالة بلاد الشام، المرجع السابق، ص 307 وما بعدها.
89. صبره، المرجع السابق،ص 296" علي ، المرجع السابق، ص 84.
90. رحلة بن جبير،ص277.
91. علي، المرجع السابق،ص84.
92. ابو شامة، المصدر السابق، ج1، ص 9.
93. علي، المرجع السابق،ص 85.
94. ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر: جمال الدين الشيال،(القاهرة، 1953م)،ج1،ص 283" علي، المرجع السابق،ص 85.
95. رحلة ابن جبير، ص 287.
96. صبره، المرجع السابق، 154–155.
97. لبيب،المرجع السابق، ص 295" ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة،ترجمة: محمد بدران، (بيروت، دار نشر نوبليس،2008م)، مج23،ص 72.
98. علي، المرجع السابق، ص 89" ديورانت، المرجع السابق،مج 21،ص 132.
99. علي، المرجع السابق،ص 91" ديورانت،المرجع السابق،مج25،ص 67–68.
100. هايد، المرجع السابق، ج1، ص 186–187.
101. المرجع نفسه،ص 182–187.
102. علي، المرجع السابق، ص 104.
103. المرجع نفسه، ص105.
104. البنا، المرجع السابق، ص 98.
105. المرجع نفسه، ص 119.
106. المرجع نفسه،ص 120.
107. صبح الاعشى في صناعة الإنشا، (القاهرة، 1913م)،ج4،ص181–182.
108. المصدر نفسه،ج4،ص181–182.
109. البنا، المرجع السابق، ص 111.
110. جعفر بن علي الدمشقي، الإشارة الى محاسن التجارة،تحقيق: البشري الشوربجي،(الاسكندرية، 1977م)، ص 37.
111. الذراع: ذراع القياس يعادل ست قبضات معتدلات. المصدر نفسه،ص 46.
112. المصدر نفسه، ص 46.
113. المصدر السابق، ج4، ص 181–182.
114. البنا، المرجع السابق، ص 132.
115. عبد الرحمن فهمي، النقود العربية،ماضيها وحاضرها،(القاهرة، 1964م)،ص 82.
116. البنا، المرجع السابق،ص 141.

6. قائمة المصادر والمراجع

1.6 المصادر:

ابن الأثير: علي بن أحمد بن ابي الكرم الجزري(ت 630هـ/1238م)
1–الكامل في التاريخ،تحقيق: عمر عبد السلام التدمري،(بيروت،دار الكتاب العربي،2010م).
ابن تغري بردي: جمال الدين ابو المحاسن يوسف(ت 874هـ/1475م)
2–النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة،(القاهرة،1971م).
ابن جبير: ابوالحسن محمد بن احمد الكناني الاندلسي(ت 614هـ/1262م)
3–رحلة ابن جبير،تحقيق: محمد مصطفى زيادة،(بيروت،دار الكتاب اللبناني،د/ت).
ابن حوقل: ابو القاسم محمدبن حوقل النصيبي(ت 367هـ/977م)
4–صورة الارض،(بيروت،منشورات دار مكتبة الحياة،1979م).
ابن خرداذبه: ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله(ت بعد 300هـ/)
5–المسالك والممالك،(ليدن،مطبعة بريل،1899م).
ابو شامة: عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان(ت 665هـ/1268م)
6–الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية،(القاهرة،د/ت).
شيخ الربوة: شمس الدين ابي عبد الله الانصاري الدمشقي(ت727هـ/1327م)
7–نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،(طبع بمدينة ليبيزج،1865م).
ابن العديم: كمال الدين ابو القاسم (ت 660هـ/1262م)
8–بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق: سهيل زكار،(بيروت،دار الفكر،د/ت).
ابن علي الدمشقي: ابو الفضل جعفر بن علي (من علماء القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي)
9–الإشارة الى محاسن التجارة،تحقيق: البشري الشوربجي،(الاسكندرية،1977م).
ابو الفدا: عماد الدين اسماعيل(ت732هـ/1331م)
10–تقويم البلدان، (باريس، دار الطباعة السلطانية،1850م).
ابن قاضي شهبة: ناصر الدين محمد(ت851هـ/1453م)
11–الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد،(بيروت،1971م).
ابن القلانسي: ابو يعلى حمزة(ت 555هـ/1160م)
12–ذيل تاريخ دمشق،(بيروت، نشره أمدروز،1908م).
القلقشندي: شهاب الدين ابو العباس احمد بن علي(ت 821هـ/1418م)
13–صبح الاعشى في صناعةالإنشا،(القاهرة،1913م).
المقريزي: تقي الدين احمد بن علي(ت 845هـ/1441م)
14–السلوك لمعرفة دول الملوك،نشره: محمد مصطفى زيادة،(القاهرة،لجنة التأليف والترجمة والنشر،1957م).
15–المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار،(بيروت،دار الصادر،د/ت).

ابن نظيف: ابو الفضائل محمد بن علي(ت631هـ/1234م)
16–التاريخ المنصوري– تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان،تحقيق: ابو العيد دودو،(دمشق، مجمع اللغة العربية،1981م).
ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1298م)
17–مفرج الكروب في اخبار بني ايوب،نشر: جمال الدين الشيال،(القاهرة،1953م).
ياقوت الحموي: شهاب الدين ابو عبد الله الحموي الرومي(ت 626هـ/1228م)
18–معجم البلدان،(بيروت،دار الفكر،د/ت).

2.6. المراجع:

أسكندر: توفيق
19–بحوث في التاريخ الاقتصادي،(القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،1961م).
باركر: أرسنت
20–الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني،(بيروت، دار النهضة العربية،1967م).
براور: يوشع
21–عالم الصليبيين،ترجمة:قاسم عبده قاسم و محمد خليفةحسن،(القاهرة،دار المعارف،1981م).
البنا : عبد الحافظ عبد الخالق
22–اسواق الشام في عصر الحروب الصليبية،(القاهرة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،2007م).
بيطار: امينة
23–تاريخ العصر الأيوبي،(دمشق،وزارة الثقافة والإرشاد القومي،د/ت).
الحويري: محمود محمد
24–الاوضاع الحضارية في بلاد الشام،(القاهرة،دار المعارف،1979م).
ديورانت: ول وايريل
25–موسوعة قصة الحضارة،ترجمة: محمد بدران،(بيروت، دار النشر نوبليس،2008م).
رنسيمان: ستفن
26–تاريخ الحروب الصليبية،(بيروت،1969م).
زكار:سهيل
27–العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية،(دمشق، الاوائل للنشر والتوزيع،2006م)
28–مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية– الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية،(بيروت، دار الفكر، 1994م).
زيود: محمد احمد
29–حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العهد الطولوني حتى نهاية العصر الفاطمي،(دمشق، دار الفكر،1992م).
سرور: جمال الدين
30–النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق،(القاهرة،1964م).
صبره: عفاف سيد
31–العلاقات بين الشرق والغرب(علاقة البندقية بمصر والشام)،(القاهرة، دار النهضة العربية،1983م).
عاشور: سعيد عبد الفتاح
32–تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى،ط2،(بيروت،دار النهضة العربية،2003م).
عطية: عزيز سوريال
33–الحروب الصليبية وتأثيرها،(لندن،1962م).
علي:علي السيد
34–العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين،(القاهرة،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 1996م).
علي: محمد كرد
35–خطط الشام، (دمشق، مطبعة الترقي،1926م).
فهمي: عبد الرحمن
36–النقود العربية ماضيها وحاضرها،(القاهرة،1964م).
فهمي: نعيم زكي
37–طرق التجارة الدولية ومحطاتها في العصور الوسطى،(القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1973م).
كناني: مصطفى حسن محمد
38–العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الإسلامي،(القاهرةنالهيئة المصرية العامة للكتاب،1981م).
لبيب: صبحي
39–الفندق ظاهرة سياسية اقتصادية قانونية،(بحث منشورفي مصر،القاهرة،1986م).
هايد: فلهلم
40–تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى،ترجمة: احمد محمد رضا،مراجعة عزالدين فوده،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1985م).

3.6. الرسائل الجامعية:

الياس: احمد محمد
41–بلاد الشام إبان العصر الأيوبي– دراسة في النشاط الاقتصادي،رسالة ماجستير غير منشورة،(جامعة الموصل،كلية التربية،2011م).
الزبيدي: نشوان محمد عبد الله
42–الاوضاع الحضارية في مصر في عصر المماليك البحرية،رسالة ماجستير غير منشورة،(جامعة الموصل،كلية الآداب،2010م).
عباس: علي سلطان
43–مدينة عكا في العصرين الأيوبي والمملوكي،رسالة ماجستير غير منشورة،(جامعة الموصل،كلية الآداب،1997م).

بازرگانی ل دەمێ شەڕێن خاچ پەڕێسان لسەر دەمێ ئەیوبیان

پوختە:

دەمێ شەڕێن خاص ئەڕێسان قوناغا ئەیوەندیان بوو دناظ بەرا موسولمانان ومەسیحیان ل دەمێن شەڕی وئاشتی یە، ضنکو سروشتێ مروظایەتی هوسا خازتیێ هندەك دەما شەڕ بیت وهندەك دەما دانوستاندن ئانکو ئاشتی بیت، ل سەر دەمێ ئاشتی یە ئەیوەندێن شارستانی ونەخاسمة بازرطانی دناظ بەرا وان دا ئەیدابوو بشێوەکێ بەرفرەـ وبەرضاظ. ودهێتة دیتن ئێشظةضوونا شارستانیەتا ئیسلامیَ وبایخ دانا ب خزمەت طوزاریان کو بوونة هاریکار طهورینا بازرطانی دناظ جهێن بازرطانی ل دبیت ذ خاناتا وهتد، وهندەك کەس ب خزمەتکارێین بازرطانی وڵبوورینا طومرکی رادبن، زێدەباری کارێن ئارة طهورین وضێکرنا ئارێن جوودا. وذطرنط تەرین فاکتەرێن لسەر هەردوو لایَن ئیسلامی ومەسیحی ل دەظەرێن شامیَ ومسریَ طرنطیەکا مەزن ئێخستة سەر ذیانا هەردوو لایان، سەرەرای شەریَ سەربازی کو یة دناظ بەرا واندا هەبوو، وئەظ فاکتەریَ بیَ طوومان هاریکاریەکا طەلەك ئەیداکر ذبوو کێم کرنا شەری دناظ بەرا هەردوو لایان، ئاندی خەلکیَ شەری ب شەرێن خوظة مذیل بوون، وخەلکیَ بازرطانی ب بازرطانیا خوظة مذیل بوون. ئەظ ظەکولینیَ هاتیة بناظ ونیشان بازرطانی لسەر دەمیَ شەرێن خاص ئەرێسان ، مة ئیشارەت ب ئەو هەوکارێن ئەیوەندێن بازرطانی دناظ بەرا هەردوو لایان دایة، زێدەباری ئەو کەل وئەلێن بازرطانی ئێدهاتة کرن دناظ بەرا وان دا، هەروەسا باس ل رێکێن بازرطانی هاتیة کرن ئەوێن کەل وئەلێن بازرطانی تێرا دەرباز دیَ بوون.

پەیڤن سەرەکی: بازرطانی، طەهاندن، بنطەهێن بازرطانی، شەرێن خاص ئەرێسان، ئیسلامی.

Trade in the Time of the Crusades during the Ayyubid Era

Abstract:

The time of the crusades is considered a communication phase between Muslims and Christians at times of war and peace because the human nature bouod them to fight sometime and make a truce other times where at peace time there was a civilization communication between them widely. It is observed the extent of the development of the Islamic civilization on the super interest of the services which help create the trade exchange in terms of facilities, columns and allot categories of people for the trade services and customs exemptions in addition to the bank services and mint various currencies **.** They were the most important factories which imposed both parties (Islamis and Christian) in Levantine Countries to acquire a big degree of importance for the life of both parties in spite of the military confrontation between them, it is doubtless to say those factories helped a lot at least made the war people busy about their war and the trade people busy about their trade. In this research we talked about trade during the crusades where it is indicated to the contact methods between the above parties in addition to the commercial commoudities exchandises and the trade ways through which the merchandises are delivered between the both sides.

Keywords: Tradink,Contact, Commercial centers, Grusades wars, Islamic.